حق الوالدين

عندما ننظر في كتاب الله (عز وجل) وفي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نرى كيف تكون العلاقة المثلى بين الأبناء وآبائهم ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا " (الإسراء : ٢٣-٢٤) ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله أحد الناس : أي العمل أحب إلى الله؟ قال: " الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا"، قال : ثم أي؟ قال (صلى الله عليه وسلم): "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ"، قال : ثم أي ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله" (متفق عليه).

انظر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) كيف قدم برّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله ، وعندما جاء أحد الشباب يستأذنه (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد ، قال له سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟" قال: نعم ، قال :" فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ" (متفق عليه) ، وجاء أحد الناس إليه (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ، إني أصبت ذنبًا عظيمًا ، فهل لي من توبة ؟ قال : "هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟" قال : لا ، قال : "هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟" قال : نعم ، قال : " فبرها " (سنن الترمذي) ، فانظر إلى برّ الخالة ، فضلا عن برّ الأم كيف يكون وسيلة للتوبة والمغفرة وحسن المثوبة والعاقبة ؟.

أما العقوق فنعوذ بالله منه ، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في شأنه : " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟" ثلاثًا ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : "الإِشْرَاكُ بالله ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ" وجلس وكان متكئًا ، فقال :" أَلا وَقَوْلُ الزّورِ" قال : فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت" (صحيح البخاري) .

ويقول الحق سبحانه:" وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا" (النساء: ٣٦) ، ويقول (عز وجل) : "وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ "

(العنكبوت : ٨) ، ويقول سبحانه : "وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ " (لقمان : ١٤) ، وكان سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يقول : ثلاث في القرآن نزلت مقترنة بثلاث ، لا تقبل واحدة منها دون الأخرى: فأما الأولى فقول الله تعالى: " وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ " (المائدة :٩٢) ، فلا تقبل طاعة الله إلا بطاعة رسوله " مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ " (النساء :٨٠) ، وأما الثانية فقوله تعالى:"فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ "(الحج :٧٨) ؛ ولذا قاتل سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) مانعي الزكاة ، وقال : "والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه ، والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة " (متفق عليه) ، وأما الثالثة فهي قوله تعالى : " أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ " (لقمان : ١٤)، فلم يشكر الله من لم يشكر لوالديه ، فمن عقّ والديه لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ ، وَلاَ مَنَّانٌ " (مسند أحمد) .

وقد يرى بعض الشباب أنه أكثر تدينًا من والده ، فيغلظ له القول أو يسيء معاملته، فنقول لأمثال هؤلاء : انظر يا بني إلى قول الحق (سبحانه وتعالى) في شأن الوالدين : "وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (لقمان : ١٥) ، فالوالدان حتى مع كفرهما أو حتى حال محاولتهما أن يحملاك على معصية الله أو حتى على الكفر ، فلا تطعهما في ذلك ، غير أن ذلك لا يخوّل لك سوء معاملة أيّ منهما ، إنما يجب أن تكون في جميع أحوالك كما أمرك الحق سبحانه "وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ".

على أن ندرك أن ذلك ليس تفضلا منك إنما هو حق وواجب عليك تأثم إن قصرت فيه أو لم تقم به ، وعليك أن تدرك أن عقوق الوالدين مما يجعل له العقوبة في الدنيا مع ما فيه من غضب الله (عز وجل) في الآخرة .

ويروى أن أحد الناس صنع لوالده إناء خشبيًّا فسأله أصغر أبنائه يا أبي لم صنعت هذا الإناء الخشبي ؟ قال : يا بني لنضع فيه الطعام لجدك الذي كبر حتى لا ينكسر ، فقال الولد : حسنا يا أبتاه ، سنضع لك فيه الطعام عندما تكون مثل جدي ، فافعل ما شئت كما تدين تدان .

* * *